مصارع العُشّاق

تشخيص الداء، ووصف الدواء

د. لحرش عبد السلام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مصارع العُشَّاق

تشخيص الداء، ووصف الدواء

لحرش عبدالسلام

دكتور في الدراسات الإسلامية وأستاذ باحث ومُدون وصانع محتوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أما بعد:

فما أكثر حالات الاكتئاب والإصابة بالأمراض النفسية التي تُصيب العُشَّاق في عصرنا وباقي العصور! وقد تتطور وتؤدي إلى الانتحار، أو الخبال أو الجنون، وأخبار العُشَّاق ومآسيهم مبثوثة في كثير من الكتب والأشعار ووسائل الإعلام، وما خَفِيَ كان أعظم.

حينما تقرأ ما كتبه علماؤنا الأقدمون في هذا الشأن تجده غزيرًا، ينطبق على عصرنا كأنما يعيشون بيننا، ويترصدون ويحلِّلون أحوال العُشَّاق؛ قال ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ): "ربما قتل العاشق نفسه، وربما مات غمًّا، وربما نظر إلى معشوقه فمات فرحًا، وربما شهق شهقة فتختنق روحه فيبقى أربعة وعشرين ساعة، فيُظن أنه قد مات، فيُدفن وهو حيٌّ، وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه في تامور قلبه، وينضم عليها القلب ولا ينفرج حتى يموت، وتراه إذا ذُكر له من يهواه، هرب دمه واستحال لونه"(١).

ومن العلماء المعاصرين الشيخ محمد إسماعيل المقدم؛ حيث يقول: "فعالي الهمة يأنف ويستنكف أن يستأسره العشق الذي يمنع القرار، ويسلب المنام، ويولع العقل، ويُحدث الجنون، وكم من عاشق أتلف في معشوقه مالَه وعِرضه ونفسه، وأتلف دينه ودنياه! والعشق يترك الملك مملوكًا، والسلطان عبدًا، وترى الداخل فيه يتمنى منه الخلاص ولات حين مناص، وكم أكبَّت فتنة العشق رؤوسًا على مناخرها في الجحيم، وأسلمتهم إلى مُقاساة العذاب الأليم، وجرَّعتهم من بين أصناف النار كؤوس الحميم!

فالحقيقة أن العشق أخطر من ذلك، ويحتاج إلى أكثر من عبارة حتى نعطيه حقه، لكن هذه إشارة عابرة المقصود بها الإشارة إلى تأثير العشق في الهمَّة، وأنه في الغالب يثبِّط الهمة، إلا إذا صادف عشقًا مباحًا، وهو عشق الزوجة، فلم يُرَ للمتحابين مثل النكاح؛ لأنه حصَّلها في هذه الحالة، وصارت تحت سلطانه، أما خلاف ذلك فالأحوال كما تعرفون"(٢).

إذًا، من خلال هذا المقال نتعرف على هذا الداء القتَّال، وأسبابه وأعراضه وأمراضه، ونصِف الدواء؛ انطلاقًا من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقوال العلماء في هذا الشأن.

---

(١) -روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص ١٣٧

(٢) - محمد إسماعيل المقدم، كتاب سلسلة علو الهمة، ج١٦/١٢ المكتبة الشاملة.

وقبل أن نخوض في أسباب هذا الداء وأعراضه ومخاطره، نعرِّف بدايةَ العشقَ.

ما تعريف العشق؟

تعددت تعريفات العلماء للعشق بحسب حال العاشق وأعراض العشق وآثاره.

قال ابن قتيبة (المتوفى: ٢٧٦هـ): "وقالوا: العشق اسم لِما فضل عن المحبة، وقال بعضهم: العشق مرض قلب ضعف"(٣).

وقال الجوهري أبو نصر (ت: ٣٩٣هـ): "العشق: فرط الحب، وقد عشِقه عِشقًا وعَشَقًا أيضًا، ورجل عشيق؛ أي: كثير العشق، والتعشق: تكلف العشق، ويقولون: امرأة محب لزوجها وعاشق"(٤).

وقال ابن سيده (ت: ٤٥٨هـ): "العشق: عجب المحب بالمحبوب، يكون في عفاف الحب ودعارته، عشِقه عِشْقًا، وعَشَقًا، وتعشَّقه.

وقيل: العِشْق: الاسم، والعَشَق: المصدر.

ورجل عاشق، من قوم عشَّاق، وعشيق: كثير العشق، وامرأة عاشق وعاشقة.

والعَشَقَة: شجرة تخضر ثم تدق وتصفر"(٥).

– قال الإمام النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ): "قال ابن الأعرابي: والعَشَق اللبلاب(٦) واحدتها عشيقة، قال: وسُمِّي العاشق عاشقًا لأنه يذبل من شدة الهوى، كما تذبل العَشَقَة إذا تُركت"(٧).

وقيل: العِشق الاسم، ورجل عاشق وعشيق: كثير العشق، وامرأة عاشق وعاشقة، والعشَقة شجرة تخضر ثم تدق وتصفر؛ قاله الزجاج، وزعم أن اشتقاق العاشق من ذلك.

– وقيل: إن العشق فساد في الإدراك والتخيل والمعرفة.

وقيل: إن العشق هو فساد في الإدراك والتخيل والمعرفة، فإن العاشق يخيَّل له المعشوق على خلاف ما هو به، حتى يصيبه ما يصيبه من داء العشق، ولو أدركه على الوجه الصحيح لم يبلغ إلى حد

---

(٣) – ابن قتيبة، عيون الأخبار، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ، ج١٨/٣.

(٤) – الجوهري، كتاب الصحاح في اللغة والعلوم، ص ٤٠٩.

(٥) – ابن سيده (ت: ٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، عبدالحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، ج١٤٤/١.

(٦) – اللبلاب له أوراق خضراء، ويُزهر بمجموعات صغيرة من الزهور ذات اللون الأخضر المصفر، التي تظهر في نهاية براعمها، تستخدم تلك الأوراق طبيًّا لتقليل الالتهاب والتورم، ولكنها قد تسبب بعض الآثار الجانبية.

(٧)– محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج٢٤/٤.

العشق وإن حصل له محبة وعلاقة، ولهذا يقول الأطباء: العشق مرض وسواسي شبيه بالمالنخوليا، فيجعلونه من الأمراض الدماغية التي تُفسد التخيل كما يفسده المالنخوليا"(٨).

– قال أفلاطون: "العشق حركة النفس الفارغة بغير فكرة".

وسُئل ديوجانس عن العشق، فقال: "سوء اختيار، صادف نفسًا فارغة"(٩).

– قال ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ): "فالذي عليه الأطباء قاطبة أنه مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا، يجلبه المرء إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور والشمائل، وسببه النفساني الاستحسان والفِكر، وسببه البدني ارتفاع بخار رديء إلى الدماغ عن منيٍّ محتقن".

وقال أرسطاطاليس: "العشق عمى الحس عن إدراك عيوب المحبوب"(١٠).

– وقال الفيومي (ت: نحو ٧٧٠ هـ) في (المصباح المنير): "عشِق عِشقًا من باب تعِب، والاسم العِشق بالكسر، قال ابن فارس: العشق: الإغرام بالنساء، والعشق: الإفراط في المحبة، ورجل عاشق، وامرأة عاشق أيضًا"(١١).

بعدما تحدثت عن مفهوم العشق، ننتقل للحديث عن الفرق بين الحب والعشق.

٢– الفرق بين الحب والعشق:

العلماء والأدباء والشعراء والفلاسفة ميَّزوا بين العشق والحب وغيره من مراتب الهوى والحب، التي هي أقل من العشق.

ومن العلماء الأوائل الذين فصلوا القول في مراتب الحب، وميزوا بينه وبين العشق الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)؛ حيث يقول: "والحب اسم مشترك يجمع ضروبًا من ميل النفس كحب

---

(٨) – ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، جامع الرسائل، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ج٢/٢٤٤.

(٩) – شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ج٢/١٢٦.

(١٠) – ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص ١٣٧.

(١١) – أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠ هـ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ج٢/٤١٢.

الولد والمال، ثم الهوى، ثم المودة، ثم الصبابة، ثم العشق، ثم الوله والهيام والتتيم، وهو أرفع درجات الحب؛ لأنه التعبد"(١٢).

وأضاف الراغب الأصفهاني: "وقيل: العشق اسم لِما يفضُل من المحبة، كما أن السخاء اسم لما جاوز الجُود، والبخل اسم لِما قصر عن الاقتصاد، والهوج اسم لما فضل عن الشجاعة"(١٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "مراتب الحب هو التتيم، وأوله العلاقة لتعلق القلب بالمحبوب، ثم الصبابة لانصباب القلب إليه، ثم الغرام وهو الحب اللازم للقلب، ثم العشق، وآخرها التتيم يُقال: تيَّم الله؛ أي: عبَد الله، فالمتيَّم المعبد لمحبوبه"(١٤).

وفصَّل تلميذه ابن قيم الجوزية في مراتب الحب ودرجاته، وكلما قوِيت مرتبة لدى صاحبها، تولدت عنها مرتبة أعلى إلى أن يصير عشقًا، قال: "استراح القلب من كُلفة الطلب والإرادة، فمن أطلق لحظاته دامت حسراته، فإن النظر يولِّد المحبة، فتبدأ علاقة يتعلق بها القلب بالمنظور إليه، ثم تقوى فتصير صبابة ينصب إليه القلب بكليته، ثم تقوى فتصير غرامًا يلزم القلب، كلزوم الغريم الذي لا يفارق غريمه، ثم يقوى فيصير عشقًا؛ وهو الحب المفرط، ثم يقوى فيصير شغفًا؛ وهو الحب الذي قد وصل إلى شَغاف القلب وداخله، ثم يقوى فيصير تتيمًا، والتتيم التعبُّد، ومنه: تيَّمه الحب إذا عبده، وتيَّم الله: عبَد الله، فيصير القلب عبدًا لمن لا يصلح أن يكون هو عبدًا له، وهذا كله جناية النظر، فحينئذٍ يقع القلب في الأسر، فيصير أسيرًا بعد أن كان ملكًا، ومسجونًا بعد أن كان مطلقًا"(١٥).

---

(١٢) – محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ج٢/٤٣.

(١٣) – محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ج٢/٤٤.

(١٤) – الفتاوى الكبرى ج ٥/٥٨.

(١٥) – ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية ج١/٤٧.

٣- أسباب العشق:

- الحب من أول نظرة:

البصر أحد الحواس التي تنقل أخبار المبصرات إلى القلب، والقلب يتأثر بها، وكثير من أسباب الوقوع في العشق إطلاق النظر فيما حرم الله؛ عن ابن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تُتْبِعِ النظرةَ النظرةَ؛ فإنما لك الأولى وليست لك الآخِرة))(١٦).

(لا تتبع النظرة النظرة)؛ أي: لا تتابع النظرة الأولى بنظرات أخرى نحو ما نهى الله عنه؛ (فإن لك الأولى)؛ أي: ليس عليك فيها وزر، إذا ما وقعت عيناك لأول مرة على ما حرَّم الله النظر إليه بغير قصد، ((وليست لك الآخرة))؛ أي: وعليك وزر ما وقع من نظرات بعد تلك الأولى؛ لأنها أصبحت عن عمدٍ.

قال القرطبي في تفسيره: "البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وغضُّه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يُخشى الفتنة من أجله"(١٧).

وقال ابن الجوزي: "اعلم - وفقك الله - أن البصر صاحب خبرِ القلب، ينقُل إليه أخبار المبصرات وينقش فيه صورها، فيجول فيها الفكر، فيشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه من أمر الآخرة، ولما كان إطلاق البصر سببًا لوقوع الهوى في القلب، أمرك الشرع بغض البصر عما يُخاف عواقبه، فإذا تعرضت بالتخليط وقد أُمرت بالحمية، فوقعت - إذًا - في أذًى، فلِمَ تضج من أليم الألم؟"(١٨).

ذكر ابن حزم في كتابه (طوق الحمامة في الأُلفة والأَلّاف): "باب من أحب من نظرة واحدة: وكثيرًا ما يكون لصوق الحب بالقلب من نظرة واحدة، وهو ينقسم قسمين، فالقسم الواحد مخالف للذي قبل هذا؛ وهو أن يعشق المرء صورة لا يعلم من هي، ولا يدري لها اسمًا ولا مستقرًّا، وقد عرض هذا لغير واحد.

---

(١٦) - مسند أحمد بن حنبل، رقم الحديث، ٢٢٩٧٤، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد - وآخرون، إشراف: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م؛ قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، ج٣٨/٧٤.

(١٧) - القرطبي أبو عبدالله، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ج١٢/٢٢٣.

(١٨) - ذم الهوى، ص٨٢.

وذكر بسنده أن يوسف بن هارون الشاعر المعروف بالرمادي، كان مجتازًا عند باب العطارين بقرطبة، وهذا الموضع كان مجتمع النساء، فرأى جارية أخذت بمجامع قلبه، وتخلل حبُّها جميعَ أعضائه، فانصرف عن طريق الجامع، وجعل يتبعها وهي ناهضة نحو القنطرة، فجازتها إلى الموضع المعروف بالربض، فلما صارت بين رياض بني مروان – رحمهم الله – المبنية على قبورهم، في مقبرة الربض خلف النهر، نظرت منه منفردًا عن الناس لا همة له غيرها، فانصرفت إليه فقالت له: ما لك تمشي ورائي؟ فأخبرها بعظيم بليته بها، فقالت له: دَعْ عنك هذا، ولا تطلب فضيحتي، فلا مطمع لك فيَّ ألبتة، ولا إلى ما ترغبه سبيل، فقال: إني أقنع بالنظر، فقالت: ذلك مباح لك، فقال لها: يا سيدتي، أحرة أم مملوكة؟ قالت: مملوكة، فقال لها: ما اسمكِ؟ قالت: خلوة، قال: ولمن أنتِ؟ فقالت له: علمك والله بما في السماء السابعة أقرب إليك مما سألت عنه، فدعِ المحال، فقال لها: يا سيدتي، وأين أراكِ بعد هذا؟ قالت: حيث رأيتني اليوم في مثل تلك الساعة من كل جمعة، قالت له: إما تنهض أنت أو أنهض أنا، فقال لها: انهضي في حفظ الله، فنهضت نحو القنطرة ولم يمكنه اتباعها؛ لأنها كانت تلتفت نحوه لترى أيسايرها أم لا، فلما تجاوزت باب القنطرة أتى يقفوها، فلم يقع لها على مسألة.

قال أبو عمر وهو يوسف بن هارون: فوالله لقد لازمت باب العطارين والربض من ذلك الوقت إلى الآن، فما وقعتُ لها على خبر، ولا أدري أسماءٌ لحستها، أرض بلعتها، وإنَّ في قلبي منها لأحرَّ من الجمر، وهي خلوة التي يتغزل بها في أشعاره، ثم وقع بعد ذلك على خبرها بعد رحيله في سببها إلى سرقسطة"(١٩).

وقال بعض الحكماء: أول العشق النظر، وأول الحريق الشرر(٢٠).

---

(١٩) – ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار النشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية – ١٩٨٧، ص١٢٢.

(٢٠) – سعد الله بن نصر بن سعيد الحنبلي المعروف بابن الدجاجي (ت: ٥٦٤هـ)، سفط الملح وزوح الترح، ص ٨٥، وانظر أيضًا: ابن الخطيب قاسم (ت: ٩٤٠هـ)، روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، دار القلم العربي، حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، ص٣٧٣.

وقال ابن الجوزي: "اعلم أن السمع يوصل إلى القلب خبر المسموعات، والبصر خبر المنظورات، ورُبَّ نظرةٍ نقشت في القلب صورةً فبعُد محوها، فإن الإنسان لَيمشي في الأسواق فيتغير قلبه، والعزلة توجب السلامة من ذلك، فالبِدارَ البدار إلى حفظ القلوب بالعزلة عن كل ما يؤذي"(٢١).

وقد أكثَرَ الشعراء في وصف البلايا التي حلَّت بالناظرين؛ فقال الفرزدق:

تزود منها نظرة لم تدع له = فؤادًا ولم يشعر بما قد تزوَّدا

فلم أرَ مقتولًا ولم أر قاتلًا = بغير سلاح مثلها حين أقصدا

وقال إبراهيم بن العباس بن صول الكاتب:

من كان يؤتى من عدوٍّ وحاسد = فإني من عيني أتيتُ ومن قلبي

هما اعتوراني نظرة ثم فكرة = فما أبقيا لي من رقاد ولا لبِّ(٢٢)

ومن آفات النظر: أنه يُورث الحسرات والزفرات والحرقات، فيرى العبد ما ليس قادرًا عليه ولا صابرًا عنه، وهذا من أعظم العذاب أن ترى ما لا صبر لك عن بعضه، ولا قدرة لك على بعضه.

قال الشاعر:

وكنتَ متى أرسلت طرفك رائدًا = لقلبك يومًا أتعبتك المناظرُ

رأيت الذي لا كله أنت قادر = عليه ولا عن بعضه أنت صابرُ(٢٣)

وقال ابن مفلح المقدسي (ت: ٧٦٣ هـ): "وليحذر العاقل إطلاق البصر، فإن العين ترى غير المقدور عليه على غير ما هو عليه، وربما وقع من ذلك العشق فيهلك البدن والدين، فمن ابتُلي بشيء منه فليتفكر في عيوب النساء"(٢٤).

---

(٢١) - ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، التبصرة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج٢/٢٩٢.

(٢٢) - ابن الجوزي، ذم الهوى، ص ٩٦.

(٢٣) - ابن قيم الجوزية، الداء والدواء ج١/ ٣٥١.

(٢٤) - شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي (ت: ٧٦٣ هـ)، الفروع، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الناشر: (مؤسسة الرسالة - بيروت)، (دار المؤيد - الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ج١/١٨١.

- سماع الأذن: وحاسة الأذن كذلك تعشق، وتتأثر بالكلمة:

الأصـــوات والنغمات مثيرات بيئية لها العديد من ردود الأفعال المختلفة على الفرد من الناحية النفسية، انظروا كيف يأمر الشيطان جنوده ألَّا يدخل عبر الأذن إلى القلب إلا الباطل؛ يقول ابن قيم الجوزية على لسان الشيطان: "ثم امنعوا ثغر الأذن أن يدخل عليه ما يفسد عليكم الأمر، فاجتهدوا ألَّا تُدخلوا منه إلا الباطل، فإنه خفيف على النفس تستحليه وتستحسنه، تخيَّروا له أعذب الألفاظ وأسحرها للألباب، وامزجوه بما تهوى النفس مزجًا، وألقُوا الكلمة، فإن رأيتم منه إصغاءً إليها، فزجُّوه بأخواتها، وكلما صادفتم منه استحسان شيء، فالهَجوا له بذكره، وإياكم أن يدخل من هذا الثغر شيء من كلام الله أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم، أو كلام النصحاء، فإن غُلبتم على ذلك ودخل من ذلك شـــيء، فحُولوا بينه وبين فَهمه وتدبره، والتفكر فيه والعظة به، إما بإدخال ضـــده عليه، وإما بتهويل ذلك وتعظيمه، وأن هذا أمر قد حِيل بين النفوس وبينه فلا ســـبيل لها إليه، وهو حِمل يثقُل عليها لا تستقل به، ونحو ذلك، وإما بإرخاصـــه على النفوس، وأن الاشـــتغال ينبغي أن يكون بما هو أعلى عند الناس، وأعز عليهم، وأغرب عندهم، وزَبونه القابلون له أكثر، وأما الحق فهو مهجور، وقائله معرّض نفســـه للعداوة، والرابح بين الناس أولى بالإيثار ونحو ذلك، فتُدخلون الباطل عليه في كل قالب يقبله ويخف عليه، وتُخرجون له الحق في كل قالب يكرهه ويثقل عليه"[٢٥].

كما قال الشاعر بشار بن برد: «الأذن تعشق قبل العين أحيانًا»:

أُذني لبعض نساء الحي عاشقة = والأذن تعشق قبل العين أحيانا[٢٦]

المِزاح والولع:

وقد قال المأمون رحمه الله تعالى:

أول العشق مزاح وولع = ثم يزداد إذا زاد الطمع

كل من يهوى وإن غالت به = رتبة الملك لمن يهوى تَبَع[٢٧]

---

(٢٥) - الداء والدواء، ص٩٩.

(٢٦) - محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، محيي الدين، ابن الخطيب قاسم (ت: ٩٤٠هـ)، روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، الناشر: دار القلم العربي، حلب، ص ٣٧٣.

(٢٧) - الماوردي أبو الحسن، (المتوفى: ٤٥٠هـ)، أدب الدنيا والدين، الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م، ص ١٦٣.

وسُئلت أعرابية عن صفة الهوى، فقالت:

الحب أوله ميل تهيم به = نفسُ المحب فيلقى الموت كاللعبِ

يكون مبدؤه من نظرة عرضت = أو مزحة أشعلت في القلب كاللهبِ

كالنار مبدؤها من قدحة فإذا = تضرمت أحرقت مستجمع الحطبِ(٢٨)

-عشق الصور:

يقول ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "وهؤلاء عشَّاق الصور، من أعظم الناس عذابًا وأقلهم ثوابًا، فإن العاشق لصورة إذا بقِيَ قلبه متعلقًا بها، مستعبدًا لها، اجتمع له من أنواع الشر والفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، ولو سلِم من فعل الفاحشة الكبرى، فداومُ تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة، أشد ضررًا عليه ممن يفعل ذنبًا ثم يتوب منه، ويزول أثره من قلبه، وهؤلاء يشبَّهون بالسكارى والمجانين؛ كما قيل:

سكران سُكر هوًى وسُكر مدامة = ومتى إفاقة من به سكران؟

وقيل:

قالوا جُننت بمن تهوى فقلت لهم = العشق أعظم مما بالمجانينِ

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه = وإنما يصرع المجنون في حينِ"(٢٩).

ويقول أيضًا: "فالتعلق في الصور يُوجب فساد العقل، وعمى البصيرة، وسكر القلب، بل جنونه"(٣٠).

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: "وإن كرر النظر، ونقَّب عن محاسن الصورة، ونقلها إلى قلب فارغ، فنقشها فيه، تمكنت المحبة، وكلما تواصلت النظرات؛ كانت كالماء يسقي الشجرة، فلا تزال شجرة الحب تنمَى حتى يفسُد القلب، ويُعرض عن الفكر فيما أُمر به، فيخرج صاحبه إلى المحن، ويوجب ارتكاب المحظورات، والفتن، ويُلقي القلب في التلف، والسبب في هذا أن الناظر التذَّت عينه بأول

(٢٨) – ابن الجوزي، أخبار النساء، شرح وتحقيق: الدكتور نزار رضا، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان عام النشر: ١٩٨٢، ص٥٨.

(٢٩) – ابن تيمية، العبودية، المحقق: محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ص٨٩.

(٣٠) – الفتاوى الكبرى ج١/٢٩٢.

نظرة، فطلبت المعاودة، كأكل الطعام اللذيذ، إذا تناول منه لقمة، ولو أنه غضَّ أولًا، لاستراح قلبه وسلم"(٣١).

ويقول ابن القيم في موضع آخر: "فإن عشق الصور المحرمة نوع تعبُّد لها، بل هو من أعلى أنواع التعبد، ولا سيما إذا استولى على القلب، وتمكن منه صار تتيمًا، والتتيم التعبد، فيصير العاشق عابدًا لمعشوقه، وكثيرًا ما يغلب حبه وذكره والشوق إليه، والسعي في مرضاته، وإيثار محابِّه على حب الله وذكره، والسعي في مرضاته، بل كثيرًا ما يذهب ذلك من قلب العاشق بالكلية، ويصير متعلقًا بمعشوقه من الصور، كما هو مشاهَد، فيصير المعشوق هو إلهه من دون الله عز وجل، يقدِّم رضاه وحبه على رضا الله وحبه، ويتقرب إليه ما لا يتقرب إلى الله، وينفق في مرضاته ما لا ينفقه في مرضاة الله، ويتجنب من سخطه ما لا يتجنب من سخط الله تعالى، فيصير آثَرَ عنده من ربه: حبًّا، وخضوعًا، وذلًّا، وسمعًا، وطاعة"(٣٢).

باب من أحب بالوصف:

إن الحب بالوصف كثُر في عصرنا؛ بسبب انتشار الحب الافتراضي، وتقنيات الفوتوشوب، والذكاء الاصطناعي؛ بحيث يرى المشاهِد من المشاهِد والمحاسن ما ليس هو حقيقة في نفسه، وقد ذكر علماء المسلمين هذا الأمر قديمًا؛ قال ابن حزم: "من غريب أصول العشق أن تقع المحبة بالوصف دون المعاينة، وهذا أمر يُترقى منه إلى جميع الحب، فتكون المراسلة والمكاتبة، والهم والوجد، والسهر على غير الإبصار، فإن للحكايات ونعت المحاسن ورصف الأخبار تأثيرًا في النفس ظاهرًا، وأن تسمع نغمتها من وراء جدار، فيكون سببًا للحب واشتغال البال.

وهذا كله قد وقع لغير ما واحد، ولكنه عندي بنيانٌ هارٍ على غير أسٍّ؛ وذلك أن الذي أفرغ ذهنه في هوى من لم يرَ، لا بد له إذ يخلو بفكره أن يمثل لنفسه صورة يتوهمها، وعينًا يقيمها نُصب ضميره، لا يتمثل في هاجسه غيرها، قد مال بوهمه نحوها، فإن وقعت المعاينة يومًا ما فحينئذٍ يتأكد الأمر، أو يبطل بالكلية، وكلا الوجهين قد عرض وعرف، وأكثر ما يقع هذا في ربَّات الخدور المحجوبات من أهل البيوتات مع أقاربهن من الرجال، وحبُّ النساء في هذا أثبت من حب الرجال؛ لضعفهن، وسرعة إجابة طبائعهن إلى هذا الشأن، وتمكنه منهن"(٣٣).

---

(٣١) – روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص٩٤.

(٣٢) – إغاثة اللهفان ج١/٦٤.

(٣٣) – ابن حزم، (المتوفى: ٤٥٦هـ)، طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: د. إحسان عباس، دار النشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، لبنان الطبعة: الثانية – ١٩٨٧، ص ١١٧.

وفي هذا الشأن قد ورد النهي عن وصف امرأة محاسن امرأة ومفاتنها أمام زوجها؛ لما رواه البخاري عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تباشر المرأةُ، المرأةَ، فتنعتها لزوجها، كأنه ينظر إليها))(٣٤).

وليس النهي مختصًّا بالزوج وحده، وإنما هو عام للرجال؛ فقد قال النووي في رياض الصالحين: "باب النهي عن وصف محاسن المرأة لرجل، إلا أن يحتاج إلى ذلك لغرض شرعي كنكاحها ونحوه"(٣٥).

وحكمة النهي هي: خشية الفتنة بالموصوفة، أو تطليق الزوجة.

قال الحافظ ابن حجر عند شرح هذا الحديث: "قال القابسي: هذا أصل لمالك في سد الذرائع؛ فإن الحكمة في هذا النهي خشية أن يعجب الزوج الوصف المذكور، فيُفضي ذلك إلى تطليق الواصفة، أو الافتتان بالموصوفة"(٣٦).

وقال الملا القاري: "أي: فتصف نعومة بدنها، ولينة جسدها، لزوجها، كأنه ينظر إليها، فيتعلق قلبه بها، ويقع بذلك فتنة، والمنهيُّ في الحقيقة هو الوصف المذكور"(٣٧).

عشق الاسم:

كما قال قيس بن الملوح:

أحب من الأسماء ما وافق اسمها = وشابهه أو كان منه مدانيا

يقول ابن تيمية: "وهذه أمراض كثيرة في النفوس، والإنسان قد يُبغض شيئًا فيبغض لأجله أمورًا كثيرة بمجرد الوهم والخيال، وكذلك يحب شيئًا فيحب لأجله أمورًا كثيرة لأجل الوهم والخيال؛ كما قال شاعرهم:

---

(٣٤) – صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها، رقم الحديث ٥٢٤٠.

(٣٥) – محيي الدين النووي، رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، ص٤٨٤.

(٣٦) – ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح البخاري، رَقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية – مصر، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ، ج٩/٣٣٨.

(٣٧) – الملا القاري (ت: ١٠١٤هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، ج٥/٣٣٨.

أحب لحبها السودان حتى = أحب لحبها سود الكلابِ(٣٨)

فقد أحب سوداء؛ فأحب جنس السواد، حتى في الكلاب، وهذا كله مرض في القلب في تصوره وإرادته".

البطالة والفراغ:

فراغ القلب من الإيمان بالله وعبادته؛ وكما قال الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى = فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

يقول ابن مفلح: "وما كان العشق إلا لأرعن بطَّال، وقلَّ أن يكون في مشغول ولو بصناعة أو تجارة، فكيف بعلوم شرعية أو حكمية؟ فإنها صارفة عن ذلك"(٣٩).

٤- أعراض وأمراض العشق:

إن أعراض العشق وأمراضه تحدث عنها علماء الإسلام، كما تحدث عنها الأطباء وعلماء النفس، وتلك الأعراض منها ما هو نفسي، ومنها ما هو بدني، ومن هذه الأعراض:

- نقص العقل، والعلم، وفساد الخُلق، والدين؛ يقول ابن تيمية: "فإن الذي يُورثه العشق من نقص العقل، والعلم، وفساد الخلق، والدين، والاشتغال عن مصالح الدين والدنيا أضعافَ ما يتضمنه من جنس المحمود، وأصدق شاهد على ذلك ما يُعرف من أحوال الأمم وسماع أخبار الناس في ذلك، فهو يغني عن معاينة ذلك وتجريبه، ومن جرب ذلك أو عاينه، اعتبر بما فيه كفاية، فلم يوجد قط عشقٌ، إلا وضرره أعظم من منفعته"(٤٠).

- الرِّق والذبول والهوان:

من أعراض العشق الرق والذبول؛ لأن صاحبه صار عبدًا لشهواته فاستعبدته؛ قال الراغب الأصفهاني: "وأما العشق الشهوي فحماقة وجهل بما وُضع لأجله الجماع، وتجاوز لحد البهائم في عدم ملكة النفس وذم الهوى، فإن المتعشِّق لم يرضَ بإرادة لذة الباه التي هي من أسمج الشهوات، حتى

(٣٨) - ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ) الناشر: المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ، أمراض القلوب وشفاؤها، ص ٢٦.

(٣٩) - ابن مفلح (المتوفى: ٧٦٣هـ)، المكتبة الشاملة، ج١٢٦/٣.

(٤٠) - ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الاستقامة، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ، ج٤٥٩/١.

أرادها من موضع واحد، فازداد بذلك عبودية على عبودية، وذلة على ذلة، فالبهيمة أحسن حالًا منه، لأنها إذا أسقطت الأذى عن نفسها بالسفاد، سكنت فصارت إلى الراحة، وهو لم يرضَ بذلك حتى استعان بالعقل في خدمة الشهوة واستجلابها، وإنما أعطاه الله تعالى العقل ليقمع به الشهوة القبيحة، لا ليجعله خادمًا لها وساعيًا في حمقتها، فتعاطي العشق حالُ كل جاهل فارغ، سيما إذا نظر في أخبار العُشَّاق وجالسهم، وربما يؤدي بالعاشق الحال إلى الرق، والذبول، بل إلى الموت؛ قال الشاعر:

لو فكر العاشق في منتهى = حُسن الذي يسبيه لم يسْبِهِ

وقيل لبعض الحكماء: ما العشق؟ فقال: جنون لا يؤجر صاحبه عليه"(٤١).

العشق جنون:

قال الخرائطي (٣٢٧ هـ): "وقال بعض الحكماء: العشق جنون، فالعشق ألوان كما الجنون ألوان"(٤٢).

وقال الشاعر:

قالوا جُننت بمن تهوى فقلت لهم = العشق أعظم مما بالمجانينِ

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه = وإنما يصرع المجنون في حينِ

- العشق سبب من أسباب انحطاط الهِمم:

العاشق من أسفل الناس همة، بل قد يصير بلا همة بعدما صار أسيرًا لمعشوقه، وعبدًا لشهواته؛ يقول إسماعيل المقدم: "من أسباب انحطاط الهمم: العشق، ووقوع الإنسان في أسْرِ العشق، ولا شكَّ أن هذا الموضوع يطول فيه الكلام جدًّا، وهو من البلاء الذي تجنَّد من أجله الآن هيئات وأموال، ولأن كل شابٍّ يتمنى أن تكون في حياته فتاة يتخيلها ويتغنى بها، وينشد لها الأشعار والأغاني، ويزعم أن هذا هو الوضع الطبيعي؛ محاكاةً لأحوال الكفار،

وفي الحقيقة أن هذا الموضوع موضوع كبير؛ لكن لأنه ليس عاملًا أساسيًّا فسوف نشير إشارة عابرة؛ فالعشق يسفل الهمة؛ لأن هذا العاشق تستنفد كل طاقاته في تحصيل محبوبته، وكل همته أنه

---

(٤١) - الراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٢٢٣.

(٤٢) - المؤلف: محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (ت: ٣٢٧ هـ)، اعتلال القلوب تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م، ج٢/٣٧٧.

يراها، أو يقابلها، أو يحصل منها على كذا أو كذا، فكل همته تتجه إلى هذا الشيء، وكل حياته تطوف حول محور معين ألا وهو المعشوق.

فالشاهد: أن همة العاشق تنحصر في أن يحصل ما يحبه، فيلهيه ذلك عن حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف: ٥٠]"(٤٣).

٦-دواء العشق:

ما أنزل الله سبحانه من داء إلا أنزل له دواء، علِمه من علِمه، وجهِله من جهِله، وقد ألَّف علماء المسلمين قديمًا وحديثًا كتبًا تصف داء العشق، وتبيّن دواءه.

ومن هؤلاء ابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) كتاب (ذم الهوى)، في الرد على سؤال، مضمونه كما ورد في مقدمة الكتاب: "شكا إليَّ بعض من أثَّرت شكواه إثارة همتي في جمع هذا الكتاب، من بلاء ابتُلي به، وهوًى هوِيَ فيه، وسألني المبالغة في وصف دواء دائه، فأهديت له نصيحة وديد لأودَّائه، وقد أتيت بها على أبلغ ترتيب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، ثم قال: اعلم يا أخي، وفقنا الله وإياك لمراضيه، وعصمنا وإياك عن معاصيه، أنك لم تشكُ إليَّ مرضك، إلا وفيك بعدُ بقية تُرجى بها السلامة، فبادر إلى استعمال الدواء، وبالغ في ملازمة الحمية، وقد رجوت لك العافية، فأما إن كنت تمضي في تخليصك، ولا تصبر على مضض ما يُوصف لك، فإنك تتعبني وتتعب"(٤٤).

فابن الجوزي سمَّى العشق بلاء، وقد وصف في كتابه (ذم الهوى) الدواءَ.

من المواضيع التي تطرَّق لها ابن الجوزي في كتابه: ذكر من كفر بسبب العشق، ذكر أخبار من قتل معشوقه، ماهية العشق وحقيقته، الآفات التي تجري على العاشق من المرض والضنى ...

ونفس الشأن مع كتاب الداء والدواء = الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، الذي ألَّفه ابن قيم الجوزية (٦٩١ هـ - ٧٥١ هـ)، فأصل الكتاب جوابٌ عن سؤال وردٌّ على الشيخ، دون أن يفصح عن الداء العُضال الذي أصاب المستفتي، ودفعه إلى السؤال؛ حيث ورد في مطلع الكتاب: "ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين في رجل ابتُلي ببليَّة، وعلِم أنها إن استمرت به أفسدت عليه دنياه وآخرته، وقد اجتهد في دفعها عن نفسه بكل طريق، فما تزداد إلا

(٤٣) - محمد إسماعيل المقدم، كتاب سلسلة علو الهمة، ج١٦/١٢ المكتبة الشاملة.

(٤٤) - ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، ذم الهوى، المحقق: مصطفى عبدالواحد، (المكتبة الشاملة)، ذم الهوى، ص٩.

توقدًا وشدةً؛ فما الحيلة في دفعها؟ وما الطريق إلى كشفها؟ فرحم الله من أعان مبتلًى، ((والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه))، أفتونا مأجورين؟"(٤٥).

المقصود بالسؤال الذي وقع عليه الاستفتاء، والداء الذي طلب له الدواء.

ثم رد على السؤال قائلًا: "قيل: نعم، الجواب من رأس، وما أنزل الله سبحانه من داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله"، ثم تكلم على علاج هذا الداء من طريقين؛ أحدهما: حسم مادته قبل حصولها، والثاني: قلعها بعد نزولها.

لم يُفصح السائل عن نوع البلية كما ترى، والمؤلف رحمه الله أيضًا قد شرع في الإجابة دون أن يسمِّيها، وكتب فصولًا في الدعاء وآثار المعاصي، وعقوباتها القدرية والشرعية، وذكر كبائر الذنوب، ومنها الشرك وقتل النفس، ثم بيَّن عِظم مفسدة الزنا واللواط، فلما وصل إلى هذا الموضع قال:

"فإن قيل: وهل مع ذلك كله من دواء لهذا الداء العُضال، ورُقية لهذا السحر القتَّال؟ وما الاحتيال لدفع هذا الخبال؟

وهل من طريقٍ قاصدٍ إلى التوفيق؟ وهل يمكن السكران بخمرة الهوى أن يُفيق؟

وهل يملك العاشق قلبه، والعشق قد وصل إلى سويدائه؟ وهل للطبيب بعد ذلك حيلة في بُرئه من سوء دائه؟"(٤٦).

من خلال هذا الكتاب وصف ابن قيم الجوزية العشق بالداء العضال، بالسحر القتَّال، ومن ابتُلي به أفسد عليه دنياه وآخرته، وقد وصف المؤلف للسائل – وغيره – الدواء.

ومن الأدوية التي قدمها العلماء المسلمون للمصابين بداء العشق:

توحيد الله:

وما يُبتلى بالعشق أحدٌ إلا لنقص توحيده وإيمانه، وإلا فالقلب المنيب إلى الله، الخائف منه فيه صارفان يصرفان عن العشق، أحدهما: إنابته إلى الله، ومحبته له؛ فإن ذلك ألذ وأطيب من كل شيء، فلا تبقى مع محبة الله محبةُ مخلوق تزاحمه، والثاني: خوفه من الله، فإن الخوف المضادَّ للعشق يصرفه، وكل من أحب شيئًا بعشقٍ أو بغير عشق، فإنه يصرف عن محبته بمحبة ما هو أحب إليه منه، إذا كان يزاحمه وينصرف عن محبته بخوفِ حصولِ ضررٍ يكون أبغضَ إليه من ترك ذاك الحب، فإذا كان

(٤٥) – ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، الداء والدواء، دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ج١/٧.

(٤٦) – الداء والدواء، ج١/٤١٣.

الله أحب إلى العبد من كل شيء وأخوفَ عنده من كل شيء، لم يحصل معه عشق ولا مزاحمة، إلا عند غفلة أو عند ضعف هذا الحب والخوف بترك بعض الواجبات، وفعل بعض المحرَّمات؛ فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"(٤٧).

وحينما يضعف توحيد الله، تصير القلوب أعظم تعلقًا بالصور وعشقًا لها.

ولهذا كلما كان القلب أضعف توحيدًا وأعظم شركًا، كان أكثر فاحشة، وأعظم تعلقًا بالصور وعشقًا لها(٤٨).

الصلوات الخمس والأذكار وكثرة الدعاء:

قال ابن تيمية: "وليتخذ وردًا من الأذكار في النهار ووقت النوم، وليصبر على ما يعرض له من الموانع والصوارف، فإنه لا يلبث أن يؤيده الله بروحٍ منه، ويكتب الإيمان في قلبه، وليحرص على إكمال الفرائض من الصلوات الخمس باطنةً وظاهرة؛ فإنها عمود الدين وليكن هِجِّيراه: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها بها تُحمل الأثقال، وتُكابَد الأهوال، ويُنال رفيع الأحوال، ولا يسأم من الدعاء والطلب؛ فإن العبد يُستجاب له ما لم يعجَل، فيقول: قد دعوت ودعوت فلم يُستجَب لي، وليعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفَرَج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا، ولم ينَل أحد شيئًا من ختم الخير؛ نبيٌّ فمن دونه، إلا بالصبر"(٤٩).

وهذا مما ينقص الشهوة ويضعف العشق.

أن يداوم على الصلوات الخمس، والدعاء والتضرع وقت السَّحَر، وتكون صلاته بحضور قلبٍ وخشوع، وليُكْثِرْ من الدعاء بقوله: يا مقلِّب القلوب، ثبِّت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب صرِّف قلبي إلى طاعتك وطاعة رسولك، فإنه متى أدمن الدعاء والتضرع لله، صرف قلبه عن ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

دفع الوساوس وتهذيب الخواطر:

فالوسوسةُ والخواطر وحديث النفس شيء يهجم على القلب بغير اختيار الإنسان، وإهمال الوساوس والاسترسال مع الخواطر، فإن أصل الفساد كله؛ قال ابن الجوزي: "قيل لبعض الحكماء: ما سبب الذنب؟ قال: الخطرة، فإن تداركت الخطرة بالرجوع إلى الله، ذهبت، وإن لم تفعل، تولَّدت عنها

---

(٤٧) – ابن تيمية، أمراض القلوب وشفاؤها، المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ، ص٢٧.

(٤٨) – ابن قيم الجوزية، كتاب الفوائد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م، ص ٨١.

(٤٩) – الفتاوى الكبرى، ج١٠/٣٧.

الفكرة، فإن تداركتها بالرجوع إلى الله بطلت، وإلا فعند ذلك تخالط الوسوسة الفكرة، فتولد عنها الشهوة، وكل ذلك بعدُ باطنٌ في القلب لم يظهر على الجوارح، فإن استدركت الشهوة، وإلا تولد منها الطلب، فإن تداركت الطلب وإلا تولد منه الفعل"(٥٠).

وعبَّر ابن الجوزي عن الخاطر بالهمِّ في موضع آخر؛ حيث نقل بسنده إلى أبي تراب النخشبي: "يقول: احفظ همك فإنه مقدمة الأشياء، فمن صح له همُّه، صح له ما بعد ذلك من أفعاله وأحواله"(٥١).

وقد ذكر الراغب الأصفهاني أن الخاطر يتولد من السانح؛ حيث قال: "أول ما يعرض من ذلك السانح ثم الخاطر، وإلى ذلك أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ((إن للشيطان لَمَّةً(٥٢) بابن آدم، وللملَك لَمَّةً، فأما لَمَّة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم(٥٣)، ثم قرأ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]))، ثم من بعدهما الإرادة، ثم العزم، ثم العمل.

فالسانح علة الخاطر، والخاطر علة الإرادة، والإرادة – وهي الهمة – علة العزم، والسانح والخاطر يعبَّر عنهما بالهاجس والواجس، ويُتجافى عنهما ما لم يصيرا إرادةً وعزمًا.

وذكر ابن قيم الجوزية قاعدةً جليلة في إصلاح الخواطر والأفكار؛ حيث قال: "مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار، فإنها توجِب التصورات، والتصورات تدعو إلى الإيرادات، والإيرادات تقتضي وقوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة، فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار، وفسادها بفسادها"(٥٤).

ويضيف في نفس السياق: "واعلم أن الخاطرات والوساوس تؤدي متعلقاتها إلى الفكر، فيأخذها الفكر فيؤديها إلى التذكر، فيأخذها الذكر فيؤديها إلى الإرادة، فتأخذها الإرادة فتؤديها إلى الجوارح

---

(٥٠) – ذم الهوى، ص١٤٥.

(٥١) – ذم الهوى، ص١٤٤.

(٥٢) – ولِمَّةً؛ أي: همَّةً وخاطرًا وإصابةً تقَعُ في قلبِ العبدِ.

(٥٣) – سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة البقرة، رقم الحديث ٢٩٨٨، ج٥/٢١٩، وسنن النسائي الكبرى: ١١٠٥١.

(٥٤) – ذم الهوى، ص١٤٤.

والعمل، فتستحكم فتصير عادةً، فردُّها من مبادئها أسهل من قطعها بعد قوتها وتمامها"(٥٥)، إذًا قطع العادات في بداية تكوّنها أسهل من قطعها إذا ترسَّخت في نفس صاحبها.

يقول ابن قيم الجوزية: "وأما الخطرات: فشأنها أصعب، فإنها مبدأ الخير والشر، ومنها تتولد الإرادات والهمم والعزائم، فمن راعى خطراته، ملك زمام نفسه وقهر هواه، ومن غلبته خطراته، فهواه ونفسه له أغلب، ومن استهان بالخطرات قادته قهرًا إلى الهلكات، ولا تزال الخطرات تتردد على القلب حتى تصير مُنًى باطلةً"(٥٦).

و"تلك الخواطر هي وادي الحمقى وأمانيُّ الجاهلين، فلا تثمر لصاحبها إلا الندامة والخزي، وإذا غلبت على القلب أورثته الوساوس وعزلته ... وأفسدت عليه رعيته، وألقته في الأسر الطويل"(٥٧).

لذلك ينصح ابن القيم بعدم استدعاء الخواطر، وكفِّ النفس عن حديث النفس؛ حيث يقول: "كفُّ الباطل عن حديث النفس، وإذا مرت به الخواطر، نفاها ولا يؤويها ويساكنها، فإنها تصير أمانيَّ، وهي رؤوس أموال المفاليس، ومتى ساكن الخواطر صارت أماني، ثم تقوى فتصير همومًا، ثم تقوى فتصير إرادات، ثم تقوى فتصير عزمًا يقترن به المراد، فدفع الخاطر الأول أسهل وأيسر من دفع أثر المقدور بعد وقوعه، وترك معاودته"(٥٨).

كما أن ابن القيم يقر في موضع آخرَ أن الخواطر لا يمكن إماتتها وقطعها جملةً؛ حيث يقول: "ومعلوم أنه لم يُعطَ الإنسان إماتةَ الخواطر ولا القوة على قطعها، فإنها تهجم عليه هجوم النفس، إلا أن قوة الإيمان والعقل تُعينه على قبول أحسنها ورضاه به ومساكنته له، وعلى رفع أقبحها وكراهته له نفرته منه"(٥٩)، إذًا فالخواطر تهجم على الإنسان من غير استئذان، ويحتاج العبد إلى تهذيبها ودفع أقبحها، وقبول أحسنها.

وإصلاح الخواطر أسهل من إصلاح ما يترتب عنها من أفكار، وإرادات، وأعمال، وعوائد، فإذا دفعت الخاطر الوارد عليك اندفع عنك ما بعده، وإن قبِلته صار فكرًا جوَّالًا، فاستخدم الإرادة،

---

(٥٥) – ذم الهوى، ص١٤٤.

(٥٦) – الفوائد، ص ٣٢٨.

(٥٧) – الفوائد، ص ٣٢٩.

(٥٨) – عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩م، ص ٥٩.

(٥٩) – عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩م، ص ٥٩.

فتساعدت هي والفكر على استخدام الجوارح، فإن تعذر استخدامها، رجَعَا إلى القلب بالتمني والشهوة، وتوجهه إلى جهة المراد، ومن المعلوم أن إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح الأفكار، وإصلاح الأفكار أسهل من إصلاح الإرادات، وإصلاح الإرادات أسهل من تدارك فساد العمل، وتداركه أسهل من قطع العوائد؛ فأنفع الدواء أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعنيك دون ما لا يعنيك، فالفكر فيما لا يعني بابُ كل شرٍّ، ومن فكر فيما لا يعنيه، فاته ما يعنيه، واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة له فيه"(٦٠).

ثم ذكر كيف تتولد الخواطر، وكيف تتحول إلى إرادات وعزائم وأعمال؛ حيث يقول: "أحدهما: حراسة الخواطر وحفظها، والحذر من إهمالها والاسترسال معها، فإن أصل الفساد كله من قبلها يجيء؛ لأنها هي بذر الشيطان، والنفس في أرض القلب، فإذا تمكن بذرها تعاهدها الشيطان بسقْيِهِ مرة بعد أخرى، حتى تصير إرادات، ثم يسقيها حتى تكون عزائمَ، ثم لا يزال بها حتى تثمر الأعمال، ولا ريب أن دفع الخواطر أيسر من دفع الإرادات والعزائم، فيجد العبد نفسه عاجزًا أو كالعاجز عن دفعها، بعد أن صارت إرادة جازمة، وهو المفرط إذا لم يدفعها وهي تهاون بشرارة من نار وقعت في حطب يابس، فلما تمكنت منه عجز عن إطفائها، فإن قلت: فما الطريق إلى حفظ الخواطر؟

قلت: أسباب عدة:

أحدها: العلم الجازم باطلاع الرب تعالى، ونظره إلى قلبك، وعلمه بتفصيل خواطرك.

الثاني: حياؤك منه.

الثالث: إجلالك له أن يرى مثل تلك الخواطر في بيته الذي خلقه لمعرفته ومحبته.

الرابع: خوفك منه أن تسقط من عينه بتلك الخواطر.

الخامس: إيثارك له أن تساكن قلبك غير محبته.

السادس: خشيتك أن تتولد تلك الخواطر يستعرُّ شرارها، فتأكل ما في القلب من الإيمان ومحبة الله، فتذهب به جملة وأنت لا تشعر"، وباقي الوسائل التي ذكرها ابن قيم الجوزية، فليرجع إليها(٦١).

---

(٦٠) – الفوائد، ص٢٣٢.

(٦١) – طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص ١٧٥.

الابتعاد عن مواطن الشهوة:

أن يبعد عن سكن هذا الشخص، والاجتماع بمن يجتمع به، بحيث لا يسمع له خبرًا، ولا يقع له على عين ولا أثر، فإن البعد جفًا، ومتى قلَّ الذكر، ضعف الأثر في القلب، فيفعل هذه الأمور، وليطالع بما تجدد له من الأحوال، والله سبحانه أعلم(٦٢).

غض البصر:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

قال الطبري في تفسير الآية: "يكفوا من نظرهم إلى ما يشتهون النظر إليه، مما قد نهاهم الله عن النظر إليه، ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، أن يراها من لا يحل له رؤيتها، بلبس ما يسترها عن أبصارهم، ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، يقول: فإن غضَّها من النظر عما لا يحل النظر إليه، وحفظ الفرج عن أن يظهر لأبصار الناظرين أطهر لهم عند الله وأفضل"(٦٣).

وقال القرطبي في تفسيره: "البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وغضُّه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يُخشى الفتنة من أجله"(٦٤).

وقال ابن الجوزي: "اعلم – وفقك الله – أن البصر صاحب خبر القلب، ينقل إليه أخبار المبصرات، وينقش فيه صورها، فيجول فيها الفكر، فيشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه من أمر الآخرة، ولما كان إطلاق البصر سببًا لوقوع الهوى في القلب، أمرك الشرع بغض البصر عما يُخاف عواقبه، فإذا تعرضت بالتخليط، وقد أمرت بالحمية، فوقعت – إذًا – في أذًى، فلِمَ تضِج من أليم الألم؟"(٦٥).

---

(٦٢) – الفتاوى الكبرى، ج٣/٧٧.

(٦٣) – أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – د. عبدالسند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ج١٧/٢٥٤.

(٦٤) – القرطبي أبو عبدالله، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، ج١٢/٢٢٣.

(٦٥) – ذم الهوى، ص٨٢.

و"في غض البصر: نور القلب، وصحة الفِراسة، قال أبو شجاع الكرماني: من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وكف نفسه عن الشهوات، وغض بصره عن المحارم، واعتاد أكل الحلال، لم تخطئ له فراسة"، وقد ذكر الله سبحانه قصة قوم لوط وما ابتُلوا به؛ ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]؛ وهم المتفرِّسون الذين سلِموا من النظر المحرم والفاحشة.

وقال تعالى عقيب أمره للمؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، وسرُّ هذا الخبر: أن الجزاء من جنس العمل، فمن غضَّ بصره عمَّا حرم الله عز وجل عليه، عوَّضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه، فكما أمسك نورَ بصره عن المحرَّمات، أطلق الله نور بصيرته وقلبه، فرأى به ما لم يرَهُ من أطلق بصره ولم يغضَّه عن محارم الله تعالى، وهذا أمر يُحسه الإنسان من نفسه، فإن القلب كالمرآة، والهوى كالصدأ فيها، فإذا خلصت المرآة من الصدأ، انطبعت فيها صورة الحقائق كما هي عليه، وإذا صدِئت لم ينطبع فيها صورة المعلومات، فيكون علمه وكلامه من باب الخرص والظنون"(٦٦).

الالتزام بالضوابط الشرعية أثناء التواصل الشبكي:

إذا كانت مواقع التواصل الاجتماعي فيها كثير من المصالح والفوائد، فإن كذلك أصبحت شبكة وشراكًا، وقع في حبائلها كثير من روَّاد تلك المواقع، ومن هذه الضوابط:

- انتفاء النظر المحرم كنظر الشابِّ إلى وجه المرأة أو صورتها، ولو بغير شهوة؛ قال الغزالي: "الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام، سواء خِيفت الفتنة، أو لم تخَف؛ لأنها مظِنَّة الفتنة على الجملة"(٦٧).

- عدم إلانة المرأة في القول على وجه يوقع الفتنة بقلب الرجل؛ قال ابن العربي في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]: "أمرهن الله تعالى أن يكون قولهن جزلًا، وكلامهن فصلًا، ولا يكون على وجه يُحدث في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين المطمع للسامع، وأخذ عليهن أن يكون قولهن معروفًا"(٦٨).

---

(٦٦) - ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ج١/٤٨.

(٦٧) - أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت، ج٢/٢٨١.

(٦٨) - أبو بكر ابن العربي، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج٣/٥٦٨.

– عدم تلذذ أي من الطرفين بصوت الآخر، فإن ذلك يحرم على من فعله؛ قال الإمام أحمد رحمه الله في رواية صالح: يسلم على المرأة الكبيرة، فأما الشابة، فلا تنطق؛ قال القاضي(٦٩): إنما قال ذلك من خوفه الافتتان بصوتها، وأطلقهما في المذهب، وعلى كلتا الروايتين: يحرم التلذذ بسماعه، ولو بقراءةٍ، جزم به في المستوعب، والرعاية، والفروع، وغيرهم، قال القاضي: يمنع من سماع صوتها، وقال ابن عقيل في الفصول: يُكره سماع صوتها بلا حاجة، قال ابن الجوزي في كتاب النساء له: سماع صوت المرأة مكروه، وقال الإمام أحمد رحمه الله، في رواية مهنا: ينبغي للمرأة أن تخفض من صوتها إذا كانت في قراءتها إذا قرأت بالليل(٧٠).

– أمن الفتنة، فإن خاف أحدهما على نفسه الفتنة، حرم الاستماع والكلام والتواصل؛ ففي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الدنيا حلوة خضِرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء))(٧١).

– عدم التكلم إلا لحاجة، فمجرد التواصل لذات الوصال والسؤال عن الحال ليس من الحاجة؛ لأن تواصل الجنسين مظِنَّة الفتنة، فلا يُباح منه إلا قدر الحاجة(٧٢).

اليأس من المحبوب وتذكر عيوبه:

قال ابن الجوزي: "فمن أراد العلاج فليبادر به قبل أن يستحكم المرض، وذلك بقطع السبب والصبر في ذلك على المضض، فإن اليأس أعظم دواء، وأقوى مُعين على ذلك خوف الله تعالى، وزجر النفس الأبيَّة عن مواقف الذل، وتذكر عيوب المحبوب الباطنة؛ كما قال ابن مسعود: إذا أعجبت أحدكم امرأة فليذكر مثالبها"(٧٣).

---

(٦٩) – المراد بالقاضي: الإمام العلامة: شيخ الحنابلة، القاضي أبو يعلى (ت: ٤٥٨هـ).

(٧٠) – علاء الدين المرداوي (ت: ٨٨٥هـ)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، صححه وحققه: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، الطبعة: الأولى، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م، ج٨/٣١.

(٧١) – صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، رقم الحديث ٢٧٤٢، ج٤/٢٠٩٨.

(٧٢) – ضوابط التواصل الشبكي بين الجنسين، https://tinyurl.com/٢٢٦oyylt استرجع يوم ١٧-٠٩-٢٠٢٤م.

(٧٣) – ابن الجوزي، الطائف والطب الروحاني، تحقيق عبدالقادر عطا، دار الطباعة المحمدية – القاهرة، ص٩٧.

وقال ابن مفلح: "والتفكر في مساويه وقبيح صفاته، وقد قال ابن الجوزي ما قاله غيره: الاطلاع على بعض العيوب يقدح في المحبة"(٧٤).

وخلاصة القول: إن علاج هذا الداء العُضال والسحر القتَّال، داء العشق، هو: صدق اللجأ إلى الله والتضرع والتذلل إليه، فمتى وفَّق العبد لذلك، فقد قرع باب التوفيق.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((وإنه من يستعف، يُعِفَّه الله، ومن يتصبَّر يصبِّره الله، ومن يستغنِ يُغْنِه الله، ولن تُعطوا عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر))(٧٥).

---

(٧٤) – ابن مفلح، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ج١٢٦/٣.

(٧٥) – صحيح البخاري (٦٤٧٠) ومسلم (١٠٥٣).

المحتويات

ما تعريف العشق؟ ٤
٢- الفرق بين الحب والعشق: ٥
٣- أسباب العشق: ٧
- الحب من أول نظرة: ٧
- سماع الأذن: وحاسة الأذن كذلك تعشق، وتتأثر بالكلمة: ١٠
المِزاح والولع: ١٠
-عشق الصور: ١١
باب من أحب بالوصف: ١٢
عشق الاسم: ١٣
البطالة والفراغ: ١٤
٤- أعراض وأمراض العشق: ١٤
- الرِّق والذبول والهوان: ١٤
العشق جنون: ١٥
٦-دواء العشق: ١٦
توحيد الله: ١٧
الصلوات الخمس والأذكار وكثرة الدعاء: ١٨
دفع الوساوس وتهذيب الخواطر: ١٨
الابتعاد عن مواطن الشهوة: ٢٢
غض البصر: ٢٢

الالتزام بالضوابط الشرعية أثناء التواصل الشبكي: ٢٣
اليأس من المحبوب وتذكر عيوبه:.....٢٤